نحـــو طلائع إسلامية واعيـــة

الإسلام

هو الحل الوحيد للأزمات المتصاعدة فى الغرب

نص المحاضرة التى ألقاها البروفيسير رجاء جارودى فى باريس مؤخرًا

رجاء جارودى

كتاب المختار

الكلمة الطيبة صَدقة

نحــو طلائع إسلامية واعيــة

الإســلام

هو الحل الوحيد للأزمات المتصاعدة فى الغرب

نص المحاضرة التى ألقاها البروفيسير رجاء جارودى فى باريس مؤخرا

رجاء جارودى

بسم الله الرحمن الرحيم

البروفيسور رجاء جارودى

□ أديب ومفكر وفيلسوف فرنسى بارز .

□ ولد عام ١٩١٣م لأبوين بروتستانتيين .

□ اعتنق الماركسية فى شبابه .

وتدرج فى الحزب الشيوعى حتى صار عضواً باللجنة المركزية للحزب ودخل مكتبه السياسى عام ١٩٥٦م .

□ تخلى عن الشيوعية وألف كتاباً فى نقدها بعد أن اتضح له زيفها وقصورها وعاد إلى الدين المسيحى باحثاً عن الحقيقة .

□ شغل عدة مناصب فى فرنسا :

ـ كان نائبا فى البرلمان من عام ١٩٤٥ ـ ١٩٥١م .

ـ ثم رئيساً للمجلس الوطنى الفرنسى من ٥٦ ـ ١٩٥٨م .

ــ ثم عضواً فى مجلس الشيوخ من عام ١٩٥٩ ــ ١٩٦٢ .

□ كشف كنه المسيحية والكنيسة وارتباطها بأحلام الصهيونية وتضيللها .

□ بعد دراسة متأنية أعلن تركه للمسيحية ودخوله فى الإسلام فكان ذلك أشبه بزلزال أحدث ضجيجاً هائلًا فى العالم الغربى بشكل عام وفى فرنسا بشكل خاص .

□ تم إعلان إسلام جارودى فى ١١ رمضان سنة ١٤٠٢ هـ عن قناعة تامة وبعد ٤٠ عاماً من المطالعة والتفكير والمعاناة ، واستبدل اسمه «روجيه» برجاء .

تزوج من فتاة عربية فلسطينية مسلمة من عائلة معروفة واسمها «سلمى نو الدين الفاروق» .

□ ألف كتباً تجاوزت العشرين فى معالجة قضايا الاسلام والحضارة الغربية .

□ أصبح معروفاً فى جميع الأوساط الإسلامية لمكانته وثقافته وإيمانه بأن الإسلام هو الحل الأمثل لمشاكل البشرية .

الإسلام هو الحل الوحيد

لا أريد أن أتحدث اليوم عن الإسلام بشكل عام . ولا عن الإسلام وما جلبه للحضارة العالمية ، وإنما أريد أن اتحدث عن امكانية انتشار الإسلام فى العالم الغربى فى أيامنا هذه .

تمهيد :

عندما نشأت الدعوة إلى الإسلام كان العالم حينئذ غارقاً فى شتى ألوان الفوضى والانحطاط العام ، فالامبراطوريات الكبرى من بيزنطية وفارسية وامبراطورية القبط ومملكة الويز يغوط كانت فى دور التفكك والانهيار .

ولما جاء الإسلام ونزلت آيات القرآن ، معلنة أن الخلق والأمر بيد الله سبحانه وتعالى ، عاد لملايين البشر ثقتهم بإنسانيتهم ذات المصدر الالهى ، واتجهوا إلى صياغة حياتهم الاجتماعية صياغة جديدة .

وهنا يمكن أن يطرح علينا سؤال : أليس الاسلام قد قدم للإنسانية فكرة السلطة العلوية ؟ كما قدم فكرة الجماعة والعمل لصالح المجتمع ، فى عالم تناسوا فيه القوى الالهية وفى مجتمع يتجه بكليته إلى طريق الفردية ، مما جعل الوضع يبدو غير قابل للاستمرار ، وجعل الثورات على الطريقة الغربية مستحيلة .

نتائج الحضارة الغربية :

اننا بعد خمسة قرون من سيادة الغرب سيادة تامة ــ بدون منازع ــ يمكن تلخيص نتائج حضارته فيما يلى : ــ

١ ــ على الصعيد الاجتماعى : لقد صرف للتسلح على سطح هذه الكرة الأرضية عام ١٩٨٢م مبلغ ٦٥٠ مليار دولار ، ولو وزع هذا المبلغ على أفراد البشرية لأصاب الفرد الواحد ، (٤) أطنان من المتفجرات ، وفى نفس تلك السنة توفى فى العالم الثالث خمسون مليوناً بسبب الجوع أو سوء التغذية .

ومن الصعب أن نسمى خط سير الحضارة الغربية ، وتوصلها إلى إمكانية تدمير الحياة على سطح الأرض وانهاء ثلاثة ملايين سنة من تاريخ البشر ، لا يمكن أن نسمى ذلك بحال من الأحوال تقدماً .

٢ ــ أما على المستوى الاقتصادى الذى توجهه فكرة النمو والزيادة ، فهم يطلبون زيادة الانتاج سواء كان مفيداً أو ضاراً أو حتى مميتاً .

٣ ــ وبالنسبة للنواحى السياسية والعلاقات الداخلية والخارجية بين الدول ، فالعنف هو الذى يسيرها ، أى مصالح الأشخاص والطبقات والشعوب التى تتصارع فيها صراعا رهيبا .

٤ ــ وتتميز النواحي الثقافية بفقدان المعنى والمغزى لهذه الحياة ، فهم يريدون أن يكون الفن للفن ، والعلم للعلم ، والاختصاص لمجرد الاختصاص وان تكون الحياة فى سبيل لا شيء .

٥ ــ أما عن العقائد فقد أضاعوا معنى السيطرة العلوية الالهية ، وبذلك تم اغفال البعد الحقيقى للإنسان فى انسانيته ، وتعذر امكان الفصل بين النظام والفوضى الموجودة .

إن الحضارة الفرعونية التي يتحدث عنها القرآن ، كانت تريد أن تجعل الحياة لا معنى لها ، أو بمعنى آخر تريد أن تجعلها مقتصرة على تأمين الحاجيات وقائمة على الصدف .

أما الحضارات الأخرى غير الإسلامية ، فلا نجد فيها حاليا إلا الجهل بمعنى حياتنا وبمعنى مماتنا .

طريق الحضارة الغربية طريق مسدود :

فهذه الثقافة الغربية تقودنا إلى الطريق المسدود ، وإذا تابعنا نفس الخطة فمعنى ذلك الانتحار لأهل هذا الكوكب لأن من دعائمها :

١ ــ الفصل بين العلم والحكمة أى الفصل بين الوسائل والغايات .

٢ ــ تحويل جميع الحقائق إلى مفاهيم مغلوطة ، تبعد الجمال والحب والعقيدة وتفقد الحياة معناها .

٣ ــ جعل الأفراد والجماعات هى المركز الأساسى للاهتمام .

٤ ــ إنكار الألوهية أى السعى للتخلص من متطلباتها بإبعاد الابداع والحرية والأمل .

جحد الغربيين للفكر والتراث الإسلامى :

ويدعى الغرب أن هذه الثقافة انتقلت إليه من مصدرين : مصدر إغريقى وروماني ، ومصدر يهودى مسيحى ، وتناسى عمداً المصدر الثالث لهذا الارث وهو التراث العربى الإسلامى .

لقد غضوا من قدر الميراث العربى الإسلامى لسببين :

١ ــ لادعائهم بأنهم لم يجدوا فيه إلا نقلا للثقافات القديمة ولديانات الماضى وترجمة للتراث الاغريقى الرومانى وإنكارا فى نفس الوقت للعقيدة المسيحية ومدخلًا لبعض العقائد الفاسدة من وجهة نظرهم .

٢ ــ انهم لم يشاؤوا أن يروه إلا مقدمة للثقافة الأوربية مما يجعله من اختصاص دارسى الماضى .

وفى ظل نظرتهم هذه يجعلون الإسلام لا يحوى شيئاً جديداً ولا

شيئاً حياً ، فهو لايحيا إلا فى الماضى ولا يمكن أن يعدنا بشىء .

هذا الاتجاه المزدوج هو الذى يجب علينا أن نحاربه لأنه يمنعنا من فهم الحاضر ومن بناء المستقبل . لهذا السبب أسمح لنفسى بالبحث فى هاتين الفكرتين الحضاريتين للإسلام .

أولا : ليس صحيحاً أن الفكر الإسلامى كان مجرد فكر مترجم ومنقول عن الفكر اليونانى ، فالرياضيات اليونانية مبنية على نظرية المحدود بينما نجد الرياضيات عند العرب مبنية على نظرية غير المحدود .

والمنطق اليونانى كان عبارة عن مجرد تفكير بينما العلم العربى تجريبى ، وفن البناء اليونانى كان يعتمد على الثوابت والخطوط المستقيمة ، أما المساجد الاسلامية فقد كانت عكس المعبد اليونانى اذ تشكل بأقواسها وقبابها سيمفونية فنية رائعة ، والفلسفة العربية كانت فلسفة العمل ، اذ لم يدونوا نظريات حول المادة والمعرفة ويكتفوا بها .

ويمكننا ايراد أمثلة كثيرة تؤكد هذه الحقائق : فالمأساة اليونانية لم تناسب الفكر الاسلامى ، كما أن الشعر العربى لم يناسب الفكر اليونانى وقيمه .

ثانيا : أنه ليس صحيحا أن العلم العربى كان مجرد مقدمة للعلم الغربى الحاضر ، فالعلم العربى عكس موقفنا الفلسفى الذى يؤمن

بالحتمية .

ان العزب لايفرقون ولا يفصلون بين العلم والحكمة ، أى أنهم لايضيعون الهدف ، ويضعون نصب أعينهم المعنى والنهاية لكل عمل ، ولا يعتبرون الحوادث حتما واقعا ، انما مجرد اشارة : حتى فى الأحداث الطبيعية ، وأوضح مايكون ذلك فى أحاديث الرسول ﷺ ، فهى لا تفصل بين الأمور فيما بينها وانما ترى الجزء بالنسبة للمجموع وتعطيه معنى ، وهذه النسبة تشمل كل الأشياء من المركبة والبسيطة وتعتبرها مقدسة بانتمائها الى الله .

وتغاضينا اليوم عن (المعنى) وعن (القوة العلوية) هو الذى جعل العلم ينحدر ، وساعد فى تحول السياسة أيضا الى ميكافيلية ، وذلك منذ الاهتمام بالنمو العددى الكمى وجعله هدفا لنا دون الأخذ بعين الاعتبار الانسان ومصلحته وازدهاره .

الغرب اقتبس اسس يقظته من العرب والاسلام :

ان النهضة الغربية باعتمادها على الحضارة الاغريقية الرومانية لم تبدأ فى الحقيقة فى ايطاليا ، ولكنها بدأت من اسبانيا قبل ذلك بفترة طويلة من اشعاع العلم والثقافة العربيين الاسلاميين . ولكن النهضة الغربية لم تستفد من الحضارة العربية الاسلامية الا طريقتها التجريبية وأساليبها الفنية ولم تأخذ العقيدة التى توجهها الى الله ولم تعتبر المحافظة على هذه العقيدة بمثابة خدمة جليلة للبشرية .

واليوم نجد أنفسنا كما كان العالم ايام الرسول ﷺ حين كانت تتجاذبه قوتان عظميان هما الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الساسانية فى ايران ــ وكلتاهما كانتا فى طريق الانحلال ــ واليوم نجد قوتين عظيمتين هما الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفيتي تحاولان تقسيم العالم الى كتلتين ، وتدعى كل قوة منهما لنفسها مبادىء وايديولوجيات تتعارض مع مبادىء القوة الاخرى ، بينما هما ترتكزان على نفس النموذج من الثقافة الفرعونية القديمة الذى يوصلهما الى طرق مسدودة متشابهة تقود الى افلاس البشرية . فى هذه الازمة التي نتلمس فيها الغايات أو بالأحرى فى غياب هذه الغايات يمكن للاسلام أن يقدم للعالم ماينقصه وهو معنى الحياة .

من ميزات الثقافة والحضارة الاسلامية :

١ ــ فالإسلام دين الوحدة ، وهو بذلك دين المعنى والجمال بينما يقوم عالمنا اليوم على التنافس العددى الكمي وتبدو الأحداث وكأنها محصلة قوى عمياء غاشمة للمجابهة والعنف .

٢ ــ ان القرآن يعلمنا ان نعتبر الكون وكأنه وحدة يقوم الانسان مع داخلها بالمشاركة فى أداء واكتشاف معنى للحياة ، بينما نسياننا للخالق يجعل منا اشخاصا يعيشون على هامش الحياة

ويخضعون لحاجات ومصادفات خارجية . ان تذكرنا لله فى صلاتنا يجعلنا نفهم مصدر وجودنا وهو مصدر كل شىء فى الوجود .

٣ ــ إن القرآن يعلمنا ان نرى فى كل حادث وفى كل شىء آية من آيات الله ورمزا لوجود أعلى يسيرنا ، ويسير الطبيعة والمجتمع ، وهدف الدين الرئيسى هو التناسق والوحدة الصادرة عن الله والعائدة اليه . ومما يجعل الانسان إنسانا هو اتجاهه الى تحقيق ارادة الله . فكل شىء فى هذا العالم ، بالتأكيد يخضع لارادة الله ، فالحجر فى سقوطه والنبات فى نموه والحيوان فى غرائزه كلها تخضع لله ولكن هذا الخضوع لايتوقف على ارادتها فهى لاتستطيع ان تهرب من النواميس التى تحكمها بينما البشر وحدهم هم الذين يستطيعون .

٤ ــ ومن هنا يصبح الانسان مسلما بمطلق ارادته وبمحض مشيئته واختياره وهو يتذكر الامر السامى الذى يجعل لحياته معنى ، وهو مسئول مسئولية كاملة عن مصيره ، مادام ان له مطلق الحرية فى أن يرفض او ان يخضع لارادة الله .

لقد جاء الرسل الى جميع الشعوب ، يدعونهم الى أن يجددوا ايمانهم بالله وبتعاليمه ، ولقد كان ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد وكثير غيرهم من أنبياء الاسلام يحملون هذه الرسالة الخالدة .

٥ ــ والعقل الذى لايكتفى بربط سبب باخر وينتقل من نتيجة

الى ملبعدها ليتوصل الى النتيجة النهائية . عقل متفتح مذعن لرسالات السماء يستفيد من هدايتها ونورها ، ولما كانت هذه الرسالات قد جاءت لتنير طريق العقل فهى كما ورد عنها «نور على نور» .

اثر الصلاة على نفس الانسان وعلى المجتمع :

واستجابة الانسان لهذه الرسالات يتجلى فى الصلاة ، فالله سبحانه وتعالى مع عباده المؤمنين من البشر اينما كانوا ، وحيثما اتجهوا ومادامو قد استجابوا بتحركهم نحو الله . وذلك وفق ماجاء فى القسم الثانى من الشهادة بالنسبة لقسمها الأول إذ أن ترتيب حركات الصلاة يتناسب مع ظهور واختفاء الكواكب ويدخل الانسان ضمن النظام الكونى فى حركات صلاته ، فهى تعيد كل مستويات الوجود الى نفس الانسان .

ان الانسان عندما يصلى ينتصب واقفا كالجبال والسنابل والشجر ، وهو يركع ويعود الى الوقوف ، كما تختفى الكواكب ثم تظهر وينحنى كاغصان النخيل ، أو كما تنحنى المخلوقات الحية نحو الارض وكذلك عباد الله رؤوسهم نحو مصدر الحياة .

هذه الصلاة لا تربط الانسان بالطبيعة ، والنظام الشمسى فقط ، ولكن تربطه مع الانسانية بأسرها . فالقبلة فى جميع انحاء

الدنيا ، تشكل دوائر مركزها واحد وهى تمثل الوحدة الشاملة ، ومواقيت الصلاة التى تتغير حسب خطوط العرض تتيح فى كل لحظة أن يقوم شخص ويركع آخر ، وتستمر حركة العبادة طيلة الوقت دون انقطاع مما يمثل استمرار العبادة حول الأرض ، فاذا اردنا ان نعبر عنها بأعمال طبيعية فان وحدة الاسلام تشمل كل العالم .

حاجة الغرب الى الاسلام :

ان الغرب الآن بحاجة الى الاسلام أكثر من أى وقت مضى ، ليعطى للحياة معنى وللتاريخ مغزى وحتى يغير اسلوب الغرب فى الفصل بين العلم والحكمة أو فصل التفكير عن الوسائل وفصل التفكير عن النتائج .

فالهدف الاساسى للعلم والتقنية فى الحضارة الغربية لايعدو فكرة السيطرة ، وتأمين مصالح الافراد والجماعات والامم . تماما كما تؤمن هذه الحاجات المشتركة من غذاء وكساء وحماية من العدوان والمهاجمة .

اما العلم الاسلامى فمحركه الاساسى هو البحث عن آيات الله فى الطبيعة وفى التاريخ لتحقيق مشيئة الله ، دون الابتعاد عن الاسباب والنواميس الكونية .

فى الغرب يجعلون الانسان منافسا لإنسان آخر . يحاول أن يستخدم علومه للتغلب عليه ، أما فى الاسلام فالانسان خليفة الله فى الأرض ليوجد فيها الجمال الذى يليق بمشيئة الله . كما ان الانسان لا يضع حاجزا بين العلم والايمان ، بل على العكس من ذلك يربط بينهما باعتبارهما وحدة متكاملة غير قابلة للتجزئة ، ولايفصل بين البحث عن الوسائل والنواميس وبين البحث عن النتائج والمعانى المترتبة عليها . انه لايفصل بين مايعلمنا اياه الفن والاختصاص الذى يعطينا السيطرة على الاشياء وبين عبادة المصدر الاول الذى أوجدها . وكذلك فالاسلام لايفصل بين العقيدة وبين الاقتصاد والسياسة بل يربطهما برباط لا ينفصم . وعندما نريد أن نجسد معنى مالك كل شىء والقادر على كل شىء . فالله وحده هو الملك وهو وحده الآمر الحاكم العالم ، نجد ان المفهوم الاسلامى للدولة وللحق هو عكس مفهوم الدولة والحق عند الرومان ، فيختلف تبعا لذلك تعريف الملكية فى الاسلام بالنسبة للحقوق ، ونجد اختلافا وتميزا عن الحقوق فى الشرائع الرومانية والرأسمالية كما تختلف مفاهيمها . فالله هو وحده المالك ، وادارة خيرات هذا الكون وظيفة إجتماعية . فاستعمال الملكية له أهداف ابعد من الفرد ومن فائدة الفرد الشخصية ، وهنا يبرز التضاد بين نظرية الفردية ونظرية الجماعة الاسلامية كفكرة .

وقولنا ان الله وحده هو الحاكم يجعلنا نستبعد حكم الملوك على أساس الحق الالهى مثل حكم لويس الرابع عشر فى الغرب الذى كان (بوسويه) يقول عنه انه وكيل الله على الارض كما نستبعد الديمقراطية التى ترتكز فى حكمها على شخص أو حزب فقط .

فنداء الايمان عند المسلمين «الله اكبر» يفسر معنى ملكية كل شىء والقدرة على كل شىء ومعرفة كل شىء ، وهذا نداء الحرية الحقيقية ، لأنه تأكيد على ابعاد الانسان السامية الحقيقية ، أى أنه يستطيع (الانفلات) من ماضيه ومن غرائزه ومن طبيعته ومن عاداته ، ويستطيع ان يصعدها ويردها الى القوة الالهية .

والانسان وحده هو الذى يملك هذه الامكانية للفصل ، مع هذا الارغام القديم ، بين الدوافع وماضيها ، وتقديم مستقبل مشرق للانسانية .

فتاريخ البشر لايشبه التطور الحيوانى ، على اعتبار انه مسرحية قد كتبت مسبقا بالنسبة لنا ، وما علينا الا ان نلعب فيها ادوارنا الابدية .

والتاريخ هو تطور مستمر للانسان مع تتابع السنين والاعوام ، ولدى الانسان امكانية استمرار النمو الحالى الانتحارى ، بحصولنا فنيا على أدوات ازالة كل آثار الحياة عن سطح هذا الكوكب ، وامكانية إنهاء ثلاثة ملايين من السنين من تاريخ البشر ، بل امكانية

الحاق التعفن بالتاريخ .

مسئولية المسلمين اليوم :

نحن مسئولون عن تاريخنا ، وان هذه الامانة الالهية التى استلمناها ، والتى يقول فيها القرآن : «إنا عرضنا الأمانة على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا» . (سورة الأحزاب ٧٢) .

وهناك نوعان من الحرية : حرية الحيوان فى اشباع حاجاته من الطعام والسكن والكفاح وهى كلها حيوانية .

والحرية الألهية التى تؤكد على الحاجات الانسانية البحتة ، وعلى معنى حياتنا ومماتنا ، اى ان نفتش عن هدف المولى عز وجل من خلق هذه الحياة وان نسعى لتحقيقه .

ونحن نملك من الآيات مايمكننا من التوصل الى الايمان : ابتداء بما يجرى فى الطبيعة وانتهاء . بتعاليم الانبياء والرسل ، مع امكانية تعرضنا للوقوع فى الخطأ . وهذا الخطأ هو الذى يجعلنا بشرا فالايمان بالغيب يبدأ حيث ينتهى العقل .

هذه القوة العلوية الربانية هى الاساس فى كل حقيقة انسانية .

ان مايميز حكومة المدينة التى انشأها الرسول ﷺ هو هذه

الابعاد التى لايمكن تجزئتها : من قوة علوية وجماعة اسلامية .
فالرسول أنشأ فى المدينة دولة مثلى ، لايعتمد على روابط الدم او
ترتكز على العلاقة بالأرض لدى المزارعين المقيمين ، كما انها ليست
حكومة مدينة تقوم على اساس وجود امة لها سوق واحدة .
وليست حكومة تنبثق عن ثقافة موحدة على اساس عرق أو جغرافى
أو ثقافى او على الماضى . انما هى مجتمع رسولى مبنى على عقيدة
مشتركة تحت رعاية الله . مجتمع مبارك مفتوح للانسانية جمعاء .
ان مجتمع المدينة يفسح المجال لايجاد القاسم المشترك بين المجتمعات
الاسلامية . قوة علوية إلهية ، وذلك بالمقابلة مع مجتمعاتنا التى
تتضخم وتنمو ولا يعتبر المستقبل فيها الا امتدادا للماضى
والحاضر .

و «الجماعة» هنا تقابل الفردية التى تؤدى الى كفاح الجميع
ضد الجميع فالقوة العلوية الإلهية وعقلية الجماعة هما البعدان
الوحيدان المتمثل فى الإله من جانب والانسان من جانب آخر اللذان
يحتاجهما الغرب اليوم حاجة ماسة . ومع ذلك فهنالك اعتراض
يثيره غالبا المفكرون الغربيون ، وهو ماحاولنا أن نبدأ بالاجابة
عليه : اذا كان هذا القانون الالهى قد اوحي به وبشكل نهائى فى
القرآن واذا كان محمد هو آخر الانبياء ، الا يحكم الاسلام على
المجتمع والدولة بالتحجر والجمود .

لقد حاولنا أن نبدأ فى الاجابة على هذا السؤال ، لأنه بمجرد القول أن هذا الشرع ألهى المصدر ، وأن آيات القرآن قد أنزلها الله ، ولها قيمة غير محدودة ، ان هذا القول لا يبرر مطلقا ان نخرج من التاريخ وان نجمد خلال التاريخ كل أمر ورد عن الله بل على العكس من ذلك فاننا نجد فى القرآن ذاته مبدأ للحركة والحياة — كما يذكره محمد اقبال — فقد ورد تكرارا فى القرآن ان الله لم يرسل رسولا الى امة ، لكى يعلمهم رسالة الله الا بلغة امته . فنحن نجد ثلاثة انبياء هم ابراهيم وموسى وعيسى وهم من انبياء المسلمين قد جاءوا برسالة الاسلام التى اتمها النبى محمد ﷺ .

كما يجب أن نذكر ان كل وحى ورد فى القرآن ونقله النبى سواء فى مكة أو فى المدينة ، هو جواب إلهى لقضية محددة ، ونحن لا نثير صبغة الوضع الالهى لهذا الوحى اذا وضعناه فى موقعه التاريخى والثقافى فى حياة شعب . فالاسلام قد امتد الى عصور اخرى من الحضارات ، اختلفت فيها حاجات وتراكيب الدولة ، حيث نجمت مشاكل عديدة فقام كبار الفقهاء بمحاولة تفسير الكلام الالهى لمواجهة المواقف الجديدة ، ولم يكن ممكنا أن نستنتج من هذه الايات القرآنية ومن الشرائع السماوية ما نبنى على أساسه دولة مختلفة عن حكومة المدينة — على الطريقة التى يسير عليها «بوسويه» فى التقليد الكاثوليكى ، فى كتابه السياسى الذى استخلصه من

الكتاب المقدس ــ لقد كانت استنتجات «بوسويه» وهمية تهدف الى إيجاد تبرير شرعى للملكية لويس الرابع عشر المطلقة ، وهذه المحاولة التى قام بها «بوسويه» تشبه ماقام به فى العالم الاسلامى (الماوردى) فى كتابه (الاحكام السلطانية) الذى يرسم فيه اجهزة الحكم عندما كانت فى طريقها الى التفكك ابان الخلافة العباسية بشكل نظرى لايستند فيه الى القرآن وانما الى التقليد .

ومن الممكن استنادا الى الوحى القرآنى ، ان نجد فى الطريق الصحيح للاسلام حلولا للمشاكل التى تفرضها الحياة اليوم ــ دون ان نمزج ذلك بتقليد النماذج الامريكية والسوفيتية أو أن نخلط بين الاتجاه نحو العصرية مع الاتجاه نحو الغرب .

فليس القرآن ولا الاسلام هما المسئولين عن وضع المسلمين اليوم ، وانما الرجعية ، المحافظة ، والجمود والتمسك بالحرف اى انه فى جميع العصور «رفض الاجتهاد» .

وهذا الرفض ــ كما حدث فى المسيحية ــ همه ان يظهر اى شريعة او عقيدة بنفس الثوب الذى ظهرت فيه فى عصر من العصور . ان هذا الرفض للاجتهاد سواء فى الدين أو فى السياسة يقود الى تقليد واعادة نماذج بالية ، قد عفا عليها الزمان ربما تلاءمت فى الماضى مع حاجات عصرها وشعوبه ؛ ولكنها لاتسمح بحل المشاكل الحالية .

فالتقليد يجعل فقهاء الاسلام يجمعون على إباحة كل ما ليس هناك نص واضح صريح بتحريمه ، والقياس مصدر من مصادر التشريع وعلى كل جيل ان يبذل الجهد فى تفسير النصوص ، كما يدعونا الى ذلك القرآن فى كل صفحة من صفحاته ، وهذا يسمح بحل المشاكل التى تعترضنا وفق العقلية التى أوحت الى الرسول طريقة الحكم فى دولة المدينة ، وفى الاسلام امكانات وتطلعات أكبر من ذلك حتى فى ذلك الزمن الذى بلغ فيه ذروته ، ونظرا لافلاس النموذجين الامريكى والسوفيتى يمكن للاسلام افساح مجال الامل لعالم اليوم ، اذا قضينا على فكرة سد باب الاجتهاد الذى حكم به خلال اجيال ، فقضى على الاسلام بالتراجع ، واذا ادخلنا المبادىء المنشطة التى تبرز عظمة الاسلام اولا من ناحية «الايجابية» بحيث تخضع الناس والاعمال لقانون يهتم بالنتائج وبالمعنى .

حتمية الحل الاسلامى :

(اما بالنسبة للتكنوقراطيين فاننا نجدهم دائما يتساءلون كيف ؟ ولا نجدهم يسألون مطلقا لماذا ؟) .

ونود أن نذكر بأن الاختصاص لمجرد الاختصاص والعلم لمجرد العلم والفن لمجرد الفن هو نسيان مميت للهدف ، باحلال الوسائل بدلا من النتائج . ويبقى طلب المعنى لهذه الاعمال والهدف منها .

وهو الذى يقودنا الى ذكر الله .

وبالنسبة «للفردية» التى تجعل من الفرد محور كل شىء فيمكن استبدالها بالشعور «بالجماعة» اى بعالم مركزه فى غيره .

واذا نظرنا الى «الحتمية» التى تقود إلى عواقب مميته والى عدم الكفاية التى تهدد الانسان فى مستقبله باعتباره امتدادا لماضيه وحاضره ، فيمكننا مواجهتها ، وتحطيم الطوق من حول الانسان ، وفتح مستقبله بشكل غير محدود ، بتأكيدنا على القوة العلوية الالهية التى تنتشلنا من نمو كمى عددى أصبح وثنا يعبد ، والها مزورا يسجد له من دون الله ، واعتقد ان هذا اصبح بالنسبة لمسلمى الغرب امرا ضروريا ، فالاسلام هو تتويج للسلالة الابراهيمية التى من خلال اليهودية وبعدها المسيحية خاتمة أن الاسلام يدعو الانسان الى ان يفتش ويبحث عن نهايته العظمى ، ومآله ، كما يمكن للاسلام ان يعيد احياء الامل فى مجتمعاتنا الغربية المتأثرة بالفردية ، بطريقة من النمو تقود العالم بأجمعه الى الانتحار ولكننا لن نحقق هذا الامل بشكل كامل الا اذا وعينا دائما ماكتبه (فوريس) باننا لن نكون اوفياء للاجداد بالمحافظة على رفاتهم ولكن بنقل الشعلة التى أوقدوها .

شكرا لانتباهكم :

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،

رجاء جارودى

(مترجم عن الفرنسية)